مجلة الحوار الفكري ISSN: 1112-5144
مجلد: 20 عدد: 01 السنة 2026 EISSN2600-6332

التفاعل والتصادم بين المدرسة الغربية والمدرسة الإفريقية في كتابة التاريخ
نحو إعادة بناء الوعي التأريخي

أ.رأفت عبد الناصر فتحي أحمد، ماجستير التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات الإفريقية العليا– جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية،
rafaat2020.re@faps.cu.edu.eg

تاريخ الارسال: 2025/12/02 تاريخ القبول: 2026/03/30 تاريخ النشر: 2026/06/04

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحليل طبيعة التفاعل والتصادم بين المدرسة الغربية والمدرسة الإفريقية في كتابة التاريخ، من خلال تتبع الجذور الفكرية والمنهجية لكل منهما، والكشف عن انعكاساتهما على الوعي التأريخي الإفريقي. استخدم البحث المنهج التاريخي التحليلي والمقارن، بالاعتماد على دراسة نماذج من الخطاب التاريخي في كلتا المدرستين، وتحليل مضمونها ومفاهيمها وأطرها المعرفية. أظهرت النتائج أن المدرسة الغربية سعت إلى فرض سردية تمحورت حول المركزية الأوروبية، مما أدى إلى تهميش التجربة الإفريقية وتشويه صورتها الحضارية، بينما جاءت المدرسة الإفريقية كرد فعل تحرري هدفه إعادة كتابة التاريخ من منظور الذات. كما بينت النتائج أن الصدام بين المدرستين تحول تدريجياً إلى تفاعل نقدي أنتج رؤى جديدة في المنهج والتفسير، وأسهم في بلورة وعي تأريخي إفريقي يسعى إلى استعادة الهوية وتحقيق الاستقلال المعرفي وبناء خطاب تاريخي يقوم على التعدد والتكامل بين التجارب الإنسانية.

الكلمات المفتاحية المدرسة الغربية؛ المدرسة الإفريقية؛ كتابة التاريخ؛ الوعي التأريخي؛ المركزية الأوروبية؛ الهوية الإفريقية؛ التفاعل المعرفي؛ الاستقلال التأريخي؛ السردية التاريخية.

Abstract:

This research aims to analyze the nature of interaction and confrontation between the Western and African schools of historical writing by tracing their intellectual and methodological foundations and examining their impact on African historical consciousness. The study employs the historical, analytical, and comparative methods, relying on selected examples from both schools' historiographical discourse and analyzing their content, concepts, and epistemological frameworks. The findings reveal that the Western school sought to impose a narrative centered on Eurocentrism, which marginalized the African experience and distorted its civilizational image, while the African school emerged as a liberating response aimed at rewriting history from an indigenous perspective. The results also show that the initial confrontation between the two schools gradually evolved into a critical interaction that generated new perspectives in method and interpretation, contributing to the formation of an African historical consciousness that aspires to reclaim identity, achieve epistemic independence, and construct a historical narrative grounded in plurality and the complementarity of human experiences.

Keywords: Western school; African school; historical writing; historical consciousness; Eurocentrism; African identity; epistemic interaction; historical independence; historical narrative.

مقدمة:

تمثل الكتابة التاريخية الإفريقية ميداناً خصباً للصراع والتفاعل بين رؤيتين متمايزتين هما الرؤية الغربية التي سعت منذ العصور الاستعمارية إلى فرض سردية تقوم على المركزية الأوروبية، والرؤية الإفريقية التي نشأت كرد فعل تحرري يستهدف إعادة كتابة التاريخ من منظور الذات الإفريقية؛ وهذا التباين لم يكن مجرد خلاف في المناهج أو المصادر، بل هو مواجهة معرفية حول من يمتلك سلطة تفسير الماضي وتمثيله، وقد أثمر هذا الصراع في العقود الأخيرة عن محاولات نقدية لإعادة بناء الوعي التأريخي الإفريقي على أسس أكثر توازناً وعدالة، تراعي خصوصية التجربة الإفريقية وتعيد إليها حضورها الحضاري والإنساني في التاريخ العام للبشرية.

إشكالية الدراسة:

تتمثل الإشكالية الرئيسة في التساؤل التالي: كيف تفاعلت المدرسة الغربية والمدرسة الإفريقية في كتابة التاريخ، وما أثر هذا التفاعل أو التصادم في إعادة بناء الوعي التأريخي الإفريقي؟ ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من الأسئلة الجزئية، منها:

1. ما الأسس الفكرية والمنهجية التي قامت عليها الكتابة التاريخية الغربية عن إفريقيا؟
2. كيف تشكّلت المدرسة الإفريقية في مواجهة الخطاب الغربي؟
3. ما مظاهر التفاعل والتصادم بين المدرستين؟
4. كيف يمكن لهذا التفاعل أن يسهم في إعادة صياغة الوعي التأريخي الإفريقي؟

فرضيات الدراسة:

1. المدرسة الغربية أسهمت في تشكيل وعي استعماري حول إفريقيا قائم على التبعية والمركزية الأوروبية.
2. المدرسة الإفريقية تمثل محاولة تحررية لإعادة بناء التاريخ من داخل التجربة الإفريقية.
3. التفاعل بين المدرستين لم يكن دائمًا تصادميًا، بل أنتج في بعض مراحله تفاعلاً نقديًا أفضى إلى رؤى جديدة في التأريخ.
4. إعادة بناء الوعي التأريخي الإفريقي تتطلب تجاوز الهيمنة المعرفية نحو خطاب تاريخي متكامل ومتعدد الرؤى.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تسلط الضوء على واحدة من أبرز القضايا الفكرية في الدراسات التاريخية الإفريقية، وهي جدلية التفاعل بين المدرسة الغربية والإفريقية في كتابة التاريخ، كما تبرز أهميتها في محاولتها الكشف عن كيفية إعادة صياغة الوعي التاريخي الإفريقي بعيداً عن النزعات الاستعمارية، بما يعزز بناء خطاب معرفي مستقل ينهض على التعدد والانفتاح والتكامل بين الخبرات الإنسانية، وتكمن قيمتها العلمية أيضاً في كونها تسهم في إثراء النقاش حول فلسفة التاريخ ما بعد الاستعمار، وتدعم جهود إعادة الاعتبار للتاريخ الإفريقي في الوعي الأكاديمي العالمي.

أهداف الدراسة:

1. تحليل الأسس الفكرية والمنهجية للمدرستين الغربية والإفريقية في كتابة التاريخ.
2. الكشف عن مظاهر الصدام والتفاعل بينهما عبر النماذج والنصوص التاريخية المختلفة.
3. إبراز دور المدرسة الإفريقية في إعادة تشكيل الوعي التأريخي والهوية الحضارية الإفريقية.
4. المساهمة في بلورة تصور نقدي لإعادة بناء الوعي التأريخي الإفريقي على أسس معرفية وإنسانية متوازنة.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي لتتبع تطور الفكر التأريخي في المدرستين الغربية والإفريقية، والمنهج المقارن للكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما من حيث المفاهيم والمنطلقات والأهداف، كما تستعين بالمنهج النقدي لتحليل الخطاب التاريخي وإبراز بنيته الإيديولوجية وموقعه في تشكيل الوعي الجمعي، مع توظيف المنهج الوصفي التحليلي في دراسة النصوص والمشروعات الكبرى التي حاولت إعادة كتابة التاريخ الإفريقي.

أولاً: الإطار المفاهيمي والمنهجي للدراسة:

1. مفهوم الوعي التأريخي وأبعاده الفلسفية والمعرفية:

يمثل الوعي التأريخي قدرة الإنسان على فهم أحداث الماضي وربطها بسياقاتها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، كما يتيح التقييم النقدي للأحداث التاريخية وإعادة تشكيل تصور الذات الجمعية، وهو ليس مجرد استرجاع للحقائق التاريخية، بل أداة معرفية للتحليل والتفسير، خصوصاً في إفريقيا حيث يرتبط بفهم الهوية والثقافة المحلية ومقاومة الهيمنة الفكرية الغربية[1].

كما أن الأبعاد الفلسفية للوعي التأريخي تتعلق بمسائل الموضوعية والحقيقة والذاكرة الجمعية في حين تشمل الأبعاد المعرفية تقييم المصادر التاريخية وربطها بالمعطيات الاجتماعية والسياسية، مما يمكّن الباحث من التحليل النقدي للأحداث التاريخية المختلفة، ويعد هذا التداخل بين الفلسفة والمعرفة أساساً لفهم الصدام بين المدارس الغربية والإفريقية في كتابة التاريخ[2].

(1) Ki-Zerbo, Joseph: Histoire de l'Afrique Noire, Hatier, 1997, p. 23; Diop, Cheikh Anta: Civilisation ou Barbarie, Présence Africaine, Lawrence Hill Books, 1981, p. 45; Mazrui, Ali: The Africans: A Triple Heritage, BBC Publications, 1986, p. 67.

(2) Falola, Toyin: Nationalism and African Historiography, Cambridge University Press, Cambridge, 2024, p. 112; Arowosegbe, Jeremiah O.: History and the Development of Historical Scholarship in Africa, History in Africa, vol. 51, 2024, p. 219; Nyarko, John Abbam: The Independentisation of African Historiography, Africania, Vol. 5, Issue 1, 2025, p. 35.

ويساعد الوعي التأريخي في تطوير منهجيات بحث جديدة تمزج بين التحليل النقدي والمقارن، وتعيد قراءة التجارب الإنسانية بعيداً عن الانحيازات الإيديولوجية، مما يجعله أداة أساسية لفهم الصراعات المعرفية بين المدارس التاريخية وإنتاج خطاب تاريخي يعكس الهوية الثقافية لكل مجتمع[1].

2. المدرسة الغربية في كتابة التاريخ الإفريقي:

نشأت المدرسة الغربية خلال الحقبة الاستعمارية، وركزت على تقديم سردية مركزية تهدف إلى تبرير الهيمنة الأوروبية على إفريقيا، مع الاعتماد على الرحلات الاستكشافية والمصادر الأوروبية، وتجاهل التراث الشفوي والنصوص المحلية، وقد أدى ذلك إلى تهميش التجربة الحضارية الإفريقية وتشويه صورتها الحقيقية[2].

يعتمد منهج المدرسة الغربية على التحليل المقارن والتفسير الاستعماري مع إعطاء الأولوية للخبرة الأوروبية في فهم الحضارات الإفريقية، وتركيزها على الفجوات الحضارية لتقديم إفريقيا كقارة بحاجة لتوجيه الغرب، وقد أثار هذا التوجه النقد لاحقاً من المؤرخين الأفارقة لإعادة الاعتبار للتاريخ المحلي[3].

تشمل الأهداف الرئيسة للمدرسة الغربية تثبيت سردية الهيمنة وتهميش التاريخ المحلي، في حين أتاح هذا النقد الفرصة للمدرسة الإفريقية لإعادة بناء وعي تأريخي مستقل، قائم على تحليل نقدي متعدد المصادر وتقدير دور الحضارة الإفريقية في التاريخ العام[4].

3. المدرسة الإفريقية في كتابة التاريخ:

نشأت المدرسة الإفريقية كرد فعل تحرري على الهيمنة الغربية، وركزت على إعادة كتابة التاريخ من منظور الذات الإفريقية، بالاعتماد على المصادر المحلية الشفهية والمكتوبة، بالإضافة إلى الدراسات الأثرية واللغوية[5]، وشملت المراجع الأساسية النصوص الشفوية، والمخطوطات، والنقوش، والتقارير الأثرية الحديثة إلى جانب الدراسات النقدية للمؤرخين العرب والأفارقة، مما أتاح بناء صورة دقيقة وشاملة للتاريخ الإفريقي وإعادة الاعتبار للهوية الحضارية للقارة الإفريقية[6]، وتركز الاتجاهات الفكرية للمدرسة الإفريقية على الهوية، والاستقلال المعرفي، وإعادة بناء الوعي التاريخي مع دمج الأدوات المنهجية

---

(1) Sheriff, Abdul: The History and Conservation of Zanzibar Stone Town, James Currey, London, 1995, p. 78.

(2) Falola, Toyin: Historiography and the African Experience, 2023, p. 209; Enyegue, Jean-Luc: Writing African History in a Global World: The Intercultural Paradigm, Interreligious Studies and Intercultural Theology, Vol. 5, No. 1-2, 2021, p. 17; Arowosegbe, Jeremiah O.: History and the Development of Historical Scholarship in Africa, p. 225.

(3) Falola, Toyi:, Historiography and the African Experience, p. 118; Mazrui, Ali: The Africans: A Triple Heritage, p. 102; Abdul Sheriff, The History and Conservation of Zanzibar Stone Town, p. 84.

(4) Ki-Zerbo, Joseph: Histoire de l'Afrique Noire, p. 47.

(5) Diop, Cheikh Anta: Civilisation ou Barbarie, Présence Africaine, p. 55; Nyarko, John Abbam: The Independentisation of African Historiography, p. 39; Mazrui, Ali: The Africans: A Triple Heritage, p. 75.

(6) Ki-Zerbo, Joseph: Histoire de l'Afrique Noire, p. 52; Abdul Sheriff, The History and Conservation of Zanzibar Stone Town, p. 88; Falola, Toyi:, Historiography and the African Experience, p. 120.

الغربية في التحليل النقدي لإنتاج خطاب تاريخي مستقل ومتعدد الأبعاد يعكس التجربة الإفريقية الحقيقية ويعيد الاعتبار للحضارات المحلية[1].

ثانياً: خصائص واتجاهات الكتابة التاريخية حول إفريقيا:

1. الخطاب الغربي حول إفريقيا: من الرحلات الاستعمارية إلى الدراسات الأكاديمية:

ارتبط الخطاب الغربي حول إفريقيا في بداياته بالرحلات الاستعمارية والاستكشافية، حيث كان الهدف الأساسي منها جمع المعلومات الجغرافية والسياسية والاقتصادية، وتقديم صورة تخدم المشروع الاستعماري، وقد اعتمد المؤرخون الأوروبيون على هذه المصادر الأولية لصياغة سرديات تاريخية تمركزت حول أوروبا وتهميش التجربة الإفريقية، وهو ما أطلق عليه بعض الباحثين مصطلح التاريخ المهيمن[2].

مع تقدم الدراسات الأكاديمية الغربية في القرن العشرين، شهد الخطاب تحوّلاً جزئياً نحو التحليل العلمي والتوثيق الأكاديمي، لكنه استمر في تركيز الاهتمام على المصادر الأوروبية مع محدودية التعامل مع المصادر الشفوية أو الأثرية الإفريقية، وقد أفرز هذا الأسلوب نوعاً من المنهجية الاستعمارية المحدثة التي حاولت تقديم تحليل أكاديمي للتاريخ الإفريقي دون إخضاعه لمصادره الأصلية[3].

على الرغم من الانتقادات فقد أسهم الخطاب الغربي في تقديم تصورات منهجية جديدة للتحليل التاريخي، مثل التركيز على المصادر المكتوبة، والنقد المقارن، ودراسة الظواهر الاقتصادية والاجتماعية، ومع ذلك ظل تأثير المركزية الأوروبية واضحاً في تصنيف الأحداث التاريخية وتصويرها، مما دفع إلى ظهور الحاجة إلى إعادة تقييم هذا الخطاب من منظور إفريقي مستقل[4].

2. الخطاب الإفريقي حول الذات: من التاريخ الشفهي إلى السرد الأكاديمي:

تمثل الخطاب الإفريقي حول الذات محاولة لإعادة كتابة التاريخ من منظور محلي، انطلاقاً من الموروث الشفهي والأدب الشعبي والنقوش والمخطوطات القديمة، وقد سعى هذا الخطاب إلى تجاوز التأثيرات الغربية على التفسير التاريخي وإبراز دور الأفارقة في صناعة حضارتهم وتاريخهم[5].

---

(1) Enyegue, Jean-Luc: Writing African History in a Global World: The Intercultural Paradigm, p. 22.

(2) Diop, Cheikh Anta: Civilisation ou Barbarie, Présence Africaine, p. 60; Falola, Toyin: Nationalism and African Historiography, p. 215; Mazrui, Ali: The Africans: A Triple Heritage, p. 110.

(3) Ki-Zerbo, Joseph: Histoire de l'Afrique Noire, p. 65; Arowosegbe, Jeremiah O.: History and the Development of Historical Scholarship in Africa, p. 230; Enyegue, Jean-Luc: Writing African History in a Global World: The Intercultural Paradigm, p. 30.

(4) Falola, Toyin: Historiography and the African Experience, p. 125; Sheriff, Abdul:The History and Conservation of Zanzibar Stone Town, p. 92.

(5) Diop, Cheikh Anta: Civilisation ou Barbarie, Présence Africaine, p. 70; Nyarko, John Abbam: The Independentisation of African Historiography, p. 42; Ki-Zerbo, Joseph: Histoire de l'Afrique Noire, p. 68.

مع تطور الكتابة التاريخية الإفريقية بدأت الدراسات الأكاديمية تأخذ شكلاً منهجياً أكثر دقة، حيث تم دمج النقد التحليلي والمقارن مع المصادر الشفوية والمكتوبة، مما سمح بإنتاج سرد تاريخي أكثر شمولية وواقعية، وقد ساعد هذا التوجه على تعزيز الاستقلال المعرفي للمدرسة الإفريقية في مواجهة الهيمنة الغربية[1].

الخطاب الإفريقي الحديث يعكس اتجاهاً فلسفياً ومهنياً يسعى إلى دمج التجربة الذاتية مع التحليل النقدي، وإبراز التعددية الثقافية والحضارية للقارة، وهو ما أدى إلى تطوير وعي تاريخي جديد يوازن بين الرواية الغربية والرواية الإفريقية ويؤكد على ضرورة الحفاظ على الهوية والمعرفة المحلية[2].

3. النقد المتبادل بين المدرستين وأثره في تطوير الدراسات التاريخية الإفريقية:

أدى الصدام بين الخطاب الغربي والإفريقي إلى ظهور نقد متبادل، حيث بدأت المدرسة الإفريقية في تحليل الاختلالات المنهجية والتمثيلات المغلوطة في الكتابات الغربية، بينما اعتمد بعض المؤرخين الغربيين على النقد الإفريقي لتحسين دقة دراساتهم، وقد ساهم هذا التبادل في تطوير المناهج والأساليب البحثية في التاريخ الإفريقي[3].

كان النقد الإفريقي مركزاً على إعادة الاعتبار للمصادر المحلية وتقييمها بشكل علمي، بينما ركز النقد الغربي على تحسين أساليب التوثيق والتحليل المنهجي، وهذا التفاعل أدى إلى إنتاج دراسات تاريخية أكثر توازناً وموضوعية مع مراعاة التجربة الإفريقية الحقيقية وتحدياتها الحضارية[4].

بفضل هذا النقد المتبادل تم تطوير إطار جديد لدراسة التاريخ الإفريقي يجمع بين المنهج النقدي والتحليل المقارن والاستفادة من المصادر المحلية والمكتوبة، وقد أسهم ذلك في تعزيز وعي تأريخي إفريقي مستقل، وخلق مساحة لإنتاج معرفة تاريخية متعددة الأبعاد تعكس التنوع الثقافي والحضاري للقارة الإفريقية[5].

ثالثاً: التفاعل والتصادم بين المدرستين:

1. نقاط الالتقاء والحوار بين المدرستين (المناهج، المفاهيم، التوثيق):

شهدت العلاقة بين المدرسة الغربية والمدرسة الإفريقية في كتابة التاريخ تحوّلاً تدريجياً من المواجهة إلى الحوار المنهجي خاصة منذ منتصف القرن العشرين، فقد أدرك المؤرخون الأفارقة أهمية بعض المناهج النقدية الغربية في التوثيق والتحليل مثل

(1) Falola, Toyin: Historiography and the African Experience, p. 130; Mazrui, Ali: The Africans: A Triple Heritage, p. 120; Sheriff, Abdul:The History and Conservation of Zanzibar Stone Town, p. 95.

(2) Enyegue, Jean-Luc: Writing African History in a Global World: The Intercultural Paradigm, p. 35.

(3) Falola, Toyin: Nationalism and African Historiography, p. 222; Ki-Zerbo, Joseph: Histoire de l'Afrique Noire, p. 72; Diop, Cheikh Anta: Civilisation ou Barbarie, Présence Africaine, p. 80.

(4) Arowosegbe, Jeremiah O.: History and the Development of Historical Scholarship in Africa, p. 238; Nyarko, John Abbam: The Independentisation of African Historiography, p. 48; Mazrui, Ali: The Africans: A Triple Heritage, p. 130.

(5) Sheriff, Abdul:The History and Conservation of Zanzibar Stone Town, p. 98; Enyegue, Jean-Luc: Writing African History in a Global World: The Intercultural Paradigm, p. 40.

المقارنة الزمنية، وتحليل البُنى الاقتصادية والاجتماعية، والمقاربة الأنثروبولوجية، في المقابل بدأ بعض الباحثين الغربيين يعترفون بقيمة التاريخ الشفهي والمصادر المحلية الإفريقية بوصفها روايات أصيلة تكشف عن جوانب كانت مغيّبة في السرديات الأوروبية، وهذا التفاعل خلق ما يمكن تسميته بالتقاطع المنهجي بين المدرستين[1].

تجلّى الحوار بين المدرستين أيضاً في تطوير مفاهيم مشتركة حول التاريخ والهوية والذاكرة، حيث أعيد النظر في مفهوم المصدر التاريخي ليشمل الأدب الشعبي، والنقوش، والرموز، والموروث الثقافي إلى جانب الوثائق المكتوبة، وقد ساهمت المؤتمرات الأكاديمية الإفريقية الأوروبية خاصة تلك التي رعتها منظمة اليونسكو في بناء فضاء تفاعلي ساعد على إعادة تقييم المناهج التأريخية المعتمدة، وتوسيع أدوات البحث لتستوعب الخصوصيات الحضارية للقارة الإفريقية[2].

كما ساهم هذا الحوار المنهجي في بروز توجه جديد نحو التاريخ المقارن الذي يسعى إلى دراسة التجارب الإفريقية في سياقها العالمي دون إخضاعها للمركزية الأوروبية، فظهر اهتمام متزايد بدراسة ظواهر مثل التبادل الثقافي عبر المحيط الهندي، أو الحركات التجارية العابرة للصحراء أو تطور الممالك الإفريقية، باعتبارها مكونات أصيلة في التاريخ العالمي لا مجرد توابع للحضارة الغربية[3].

2. مظاهر الصدام المنهجي والإيديولوجي (المركزية، السلطة المعرفية، الهوية):

على الرغم من فترات الحوار ظل الصدام المنهجي والإيديولوجي بين المدرستين قائماً، خاصة حول مسألة المركزية المعرفية، فالمدرسة الغربية كانت تنطلق من رؤية تعتبر أوروبا مركز التاريخ العالمي، فيما اعتُبر التاريخ الإفريقي فرعاً هامشياً لا يمتلك منظومة حضارية متكاملة، أما المدرسة الإفريقية فقد رأت في ذلك استمراراً لخطاب استعماري يسعى إلى تكريس التبعية الفكرية ونزع الذاتية عن التاريخ الإفريقي[4].

تتجلى مظاهر الصدام أيضاً في البنية الإيديولوجية للكتابة التاريخية، فبينما اعتبرت المدرسة الغربية التاريخ نتاجًا للتطور العقلي والمؤسساتي في أوروبا، سعت المدرسة الإفريقية إلى إعادة تفسير التاريخ بوصفه تعبيراً عن تفاعل الإنسان مع بيئته وثقافته المحلية، ومن هنا ظهرت دراسات ركزت على الهوية الثقافية والإبداعية الإفريقية باعتبارها مكوّناً رئيسياً في تفسير التحولات التاريخية، لا مجرد انعكاس للتأثير الأوروبي[5].

---

(1) Ki-Zerbo, Joseph: Histoire de l'Afrique Noire, p. 80; Falola, Toyin: Nationalism and African Historiography, p. 230; Mazrui, Ali: The Africans: A Triple Heritage, p. 138.

(2) Arowosegbe, Jeremiah O.: History and the Development of Historical Scholarship in Africa, p. 242; Enyegue, Jean-Luc: Writing African History in a Global World: The Intercultural Paradigm, p. 41.

(3) Falola, Toyin: Historiography and the African Experience, p. 132; Nyarko, John Abbam: The Independentisation of African Historiography, p. 50.

(4) Diop, Cheikh Anta: Civilisation ou Barbarie, Présence Africaine, p. 85; Falola, Toyin: Nationalism and African Historiography, p. 236; Ki-Zerbo, Joseph: Histoire de l'Afrique Noire, p. 88.

(5) Mazrui, Ali: The Africans: A Triple Heritage, p. 140; Arowosegbe, Jeremiah O.: History and the Development of Historical Scholarship in Africa, p. 248.

كما مثّل الصدام بين المدرستين صراعاً على السلطة المعرفية، حيث سعى المؤرخون الأفارقة إلى تحرير التاريخ من وصاية المناهج الغربية، وإعادة تعريف معايير الصدق التاريخي والموضوعية وفق الخصوصيات الثقافية للقارة، وقد قاد هذا التوجه إلى ظهور مدرسة نقدية جديدة تؤكد على استقلال التأريخ الإفريقي، ورفض خضوعه لسلطة المركزية الغربية مما مهد لمرحلة جديدة من إعادة بناء الهوية التأريخية الإفريقية[1].

3. المشاريع الكبرى لكتابة التاريخ الإفريقي (مشروع اليونسكو لتاريخ إفريقيا العام، جهود الباحثين الأفارقة والعرب):

شكّل مشروع اليونسكو لتاريخ إفريقيا العام Unesco General History of Africa الذي بدأ في السبعينيات، نقطة تحول مفصلية في تاريخ التأريخ الإفريقي، حيث جمع المشروع نخبة من الباحثين الأفارقة والعرب والغربيين لإعادة كتابة تاريخ القارة من منظور إفريقي شامل، وقد اعتمد المشروع على مناهج متعددة تجمع بين الوثائق المكتوبة والمصادر الشفوية والأثرية في محاولة لكسر النموذج الأوروبي المهيمن في كتابة التاريخ[2].

ساهمت الجهود الفردية والجماعية للباحثين الأفارقة مثل شيخ أنتا ديوب Cheikh Anta Diop، وعلي مزروعيAli Mazrui، وجوزيف كي زيربو Joseph Ki-Zerbo، في ترسيخ مبدأ استقلال التاريخ الإفريقي معرفياً فقد سعوا إلى بناء سردية تعترف بعمق التجربة الحضارية الإفريقية وتُبرز مساهمتها في الحضارة الإنسانية، مع نقد الرؤية الأوروبية التي تصوّر إفريقيا كمجال خارج التاريخ[3].

كما شارك عدد من الباحثين العرب في تطوير هذا الاتجاه، خاصة في الدراسات المتعلقة بالعلاقات العربية الإفريقية عبر البحر الأحمر والصحراء الكبرى، وفي تحليل التفاعل الثقافي والديني بين شمال القارة ووسطها، ومن أبرز هذه الجهود أعمال عبد القادر زغيدي، وأبو القاسم سعد الله، ويوسف فضل حسن، التي كشفت عن الترابط التاريخي بين إفريقيا والعالم الإسلامي وأسهمت في إثراء التأريخ الإفريقي من منظور حضاري متكامل[4].

رابعاً: نحو إعادة بناء الوعي التأريخي الإفريقي:

1. إشكالية الوعي التاريخي بين الاستلاب والتحرر:

يُعدّ الوعي التأريخي في إفريقيا من أكثر القضايا تعقيدًا، إذ ظلّ لقرون رهين تصورات استشراقية رسّخت في الذهن الجمعي صورة إفريقيا خارج التاريخ، فقد انطلقت المدرسة الغربية من منطق المركزية الأوروبية التي جعلت من التجربة الأوروبية

(1) Enyegue, Jean-Luc: Writing African History in a Global World: The Intercultural Paradigm, p. 44; Falola, Toyin: Nationalism and African Historiography, p. 140.

(2) Ki-Zerbo, Joseph (ed.): General History of Africa, UNESCO, Vol. I, 1997, p. 10; UNESCO, General History of Africa, Vol. VII, Paris, 1993, p. 5; Falola, Toyin: Nationalism and African Historiography, p. 250.

(3) Diop, Cheikh Anta: Civilisation ou Barbarie, Présence Africaine, p. 120; Mazrui, Ali: The Africans: A Triple Heritage, p. 150; Enyegue, Jean-Luc: Writing African History in a Global World: The Intercultural Paradigm, p. 48.

(4) عبد القادر الزغيدي: العلاقات العربية الإفريقية في العصر الوسيط، مطبعة جامعة تونس، تونس، 2019، ص66.

مقياساً كونياً لتطور الحضارات، وهو ما أنتج وعياً مستلباً لدى النخب الإفريقية خلال حقبة الاستعمار وما بعدها، وهذا الاستلاب لم يكن مادياً فحسب، بل معرفياً أيضاً، حيث تمّ انتزاع حقّ القارة في تعريف ذاتها وسرد تاريخها[1].

في المقابل بدأت مرحلة التحرر الفكري منذ منتصف القرن العشرين مع تصاعد الحركات القومية وحركات الاستقلال التي دفعت المفكرين الأفارقة إلى إعادة النظر في الأسس المعرفية التي بُني عليها التاريخ الإفريقي، وقد ارتكزت هذه المرحلة على إعادة الاعتبار للذاكرة الجمعية والتاريخ الشفهي كمصادر شرعية للمعرفة التاريخية، في مقابل الاعتماد المطلق على الوثيقة المكتوبة التي هيمنت عليها القوى الاستعمارية[2].

نتج عن هذا التحول ظهور ما يمكن تسميته بالوعي التأريخي المقاوم، الذي يسعى إلى استعادة سردية الذات الإفريقية من منظور تحرريّ يرفض الهيمنة ويؤسس للهوية، ولم يعد التاريخ الإفريقي يُكتب من الخارج بل من الداخل، استناداً إلى خصوصيته الثقافية والأنثروبولوجية، وهكذا أصبح الوعي التاريخي وسيلة لإعادة بناء الذات الإفريقية لا مجرد أداة لتفسير الماضي[3].

2. دور المؤرخين الأفارقة والعرب (شيخ أنتا ديوب، علي مزروعي، يوسف فضل حسن، أبو القاسم سعد الله):

أبرزت أعمال شيخ أنتا ديوب Cheikh Anta Diop رؤية جديدة في فلسفة التاريخ الإفريقي، حيث رفض الرؤية الأوروبية التي صوّرت إفريقيا كمجال بدائي، وأثبت من خلال بحوثه الأركيولوجية واللغوية أن الحضارة المصرية القديمة كانت جزءاً من المنظومة الحضارية الإفريقية، ودعا ديوب إلى إفريقية التاريخ عبر تأسيس منهج يجمع بين العلم التجريبي والهوية الثقافية، واعتبر أن التحرر المعرفي هو الشرط الأول لبناء وعي تأريخي إفريقي مستقل[4].

أما علي مزروعي Ali Mazrui فقد ركز على مفهوم التراث الثلاثي (الإفريقي والإسلامي والغربي) في تكوين الهوية التاريخية الإفريقية، معتبراً أن الوعي التأريخي لا يقوم على الإقصاء بل على التفاعل الخلاق بين الموروثات الثقافية، وقد أسهم في تطوير فلسفة للتاريخ الإفريقي تتجاوز الثنائية بين الاستعمار والتحرر، لتؤكد على الاندماج الحضاري بوصفه جوهر التجربة الإفريقية[5].

---

(1) Mazrui, Ali: The Africans: A Triple Heritage, p. 122; Ki-Zerbo, Joseph: General History of Africa, Vol. I, p. 19; Diop, Cheikh Anta: Civilisation ou Barbarie, Présence Africaine, p. 60.

(2) Falola, Toyin: Nationalism and African Historiography, p. 220; Arowosegbe, Jeremiah O.: History and the Development of Historical Scholarship in Africa, p. 247.

(3) Enyegue, Jean-Luc: Writing African History in a Global World: The Intercultural Paradigm, p. 52; Diop, Cheikh Anta: Civilisation ou Barbarie, Présence Africaine, p. 110.

(4) Diop, Cheikh Anta: Civilisation ou Barbarie, Présence Africaine, pp. 85–90; Ki-Zerbo, Joseph: General History of Africa, Vol. I, p. 45; Falola, Toyin: Nationalism and African Historiography, p. 235.

(5) Mazrui, Ali: The Africans: A Triple Heritage, pp. 140–150; Enyegue, Jean-Luc: Writing African History in a Global World: The Intercultural Paradigm, p. 49; Arowosegbe, Jeremiah O.: History and the Development of Historical Scholarship in Africa, p. 243.

في السياق العربي أسهم يوسف فضل حسن وأبو القاسم سعد الله في ترسيخ حضور البعد العربي الإسلامي في كتابة التاريخ الإفريقي، فقد تناول حسن في دراسته لتاريخ السودان والممالك النوبية مراحل التحول الديني والثقافي في ضوء التفاعل بين العرب والأفارقة، مؤكداً على وحدة المجال الحضاري، بينما ركز سعد الله على أهمية تحرير الكتابة التاريخية من النزعات الأوروبية وتأسيس منهج نقدي محلي يستند إلى التراث والمصادر العربية والإفريقية معاً[1].

3. آفاق كتابة تاريخ إفريقي مستقل نحو مدرسة تأريخية تكاملية:

يُظهر التحليل المقارن لتجارب المدرستين أن الطريق نحو كتابة تاريخ إفريقي مستقل لا يقوم على القطيعة المطلقة مع الغرب، بل على تأسيس مدرسة تأريخية تكاملية تجمع بين المنهجية العلمية الحديثة والخصوصية الثقافية الإفريقية، وهذه المدرسة المنشودة تنفتح على النقد والمراجعة، وتعيد صياغة مفاهيم الزمن، والمصدر، والموضوعية في ضوء تعدد الرؤى والمقاربات[2].

تعتمد هذه المدرسة على مقاربة متعددة التخصصات تشمل علم الآثار، والأنثروبولوجيا، واللسانيات، والدراسات المقارنة، مع الاعتراف بدور الذاكرة الجماعية والتاريخ الشفهي كعناصر مكافئة للوثيقة المكتوبة، كما تتطلب إشراك الجامعات والمراكز البحثية الإفريقية في صياغة المناهج التعليمية بحيث يصبح التأريخ أداة للوعي القومي والتنمية الثقافية لا مجرد تخصص أكاديمي[3].

ومن منظور فلسفي فإن إعادة بناء الوعي التأريخي الإفريقي تمثل خطوة نحو تحقيق التحرر المعرفي الشامل الذي يجعل من التاريخ وسيلة لبناء الحاضر والمستقبل لا لاستعادة الماضي فقط، إن هذا الاتجاه لا ينكر المساهمات الغربية، لكنه يسعى إلى تجاوزها من خلال عولمة إنسانية تعترف بتعدد المراكز الحضارية وتكافؤها لتكون إفريقيا فاعلاً وشريكاً في إنتاج المعرفة التاريخية لا مجرد موضوعٍ لها[4].

الخاتمة ونتائج الدراسة:

تُبرز هذه الدراسة أن الوعي التاريخي الإفريقي لم يكن مجرد نتاجٍ للبحث الأكاديمي، بل هو عملية نهوضٍ حضاري ومعرفي سعت من خلالها المجتمعات الإفريقية إلى استعادة سرديتها الذاتية بعد قرون من التهميش الاستعماري، فقد أظهرت نتائج البحث أن كتابة التاريخ الإفريقي مرّت بمراحل معقدة من الهيمنة المعرفية التي فرضتها المدرسة الغربية منذ القرن التاسع

---

(1) عبد القادر الزغيدي: العلاقات العربية الإفريقية في العصر الوسيط، ص70؛ أبو القاسم سعد الله: دراسات في التاريخ الأفريقي الحديث والمعاصر، الجزائر، 2018، ص 88-92.

(2) Falola, Toyin: Historiography and the African Experience, p. 144; Enyegue, Jean-Luc: Writing African History in a Global World: The Intercultural Paradigm, p. 55; Ki-Zerbo, Joseph: General History of Africa, Vol. VII, p. 33.

(3) Arowosegbe, Jeremiah O.: History and the Development of Historical Scholarship in Africa, p. 249; UNESCO, General History of Africa, Vol. VIII, p. 11.

(4) Diop, Cheikh Anta: Civilisation ou Barbarie, Présence Africaine, p. 121; Mazrui, Ali:The Africans: A Triple Heritage, p. 155.

عشر، حين ارتبطت كتابة التاريخ بالبعثات التبشيرية والاستكشافات الجغرافية، ثم تحوّلت لاحقاً إلى دراسات أكاديمية تحت مظلة المركزية الأوروبية، وقد أسهم هذا المسار في إعادة إنتاج صورة إفريقيا بوصفها الآخر الصامت، الذي لا يمتلك تاريخاً مكتوباً ولا إرثاً حضارياً متكاملاً، وهو ما أدّى إلى تغريب التاريخ الإفريقي عن سياقه الثقافي والإنساني الحقيقي.

من جهة أخرى بيّن البحث أنّ ظهور المدرسة الإفريقية في كتابة التاريخ مثّل لحظة مفصلية في مسار الوعي التاريخي للقارة، حيث عمل المؤرخون الأفارقة والعرب على تفكيك السرديات الاستعمارية واستعادة مركز الذات، وقد جاء هذا الاتجاه في سياق أوسع من حركات التحرر الوطني، حيث ارتبطت إعادة كتابة التاريخ بمطلب الاستقلال السياسي والروحي معاً، فالمؤرخون من أمثال شيخ أنتا ديوب وعلي مزروعي ويوسف فضل حسن وأبو القاسم سعد الله لم يكتفوا بنقد الرؤية الغربية، بل قدّموا مشاريع معرفية جديدة تستند إلى تعدد المصادر الشفوية، والآثارية، واللغوية، والمكتوبة، وإلى دمج المناهج الحديثة بالتصورات الثقافية المحلية، لقد تحوّل التاريخ هنا من مجرد تسجيل للأحداث إلى أداة لبناء الهوية وترميم الذاكرة الجمعية التي شوهها الاستعمار.

كما أثبتت الدراسة أنّ التفاعل بين المدرستين الغربية والإفريقية لم يكن في مجمله صداماً أبدياً، بل مرّ بمرحلة من الجدل النقدي البنّاء، خاصة بعد أن بدأت بعض المدارس الغربية في مراجعة مناهجها في ضوء النقد ما بعد الكولونيالي، وقد ساهمت مشاريع كبرى مثل اليونسكو لتاريخ إفريقيا العام UNESCO General History of Africa في فتح قنوات الحوار العلمي، من خلال إشراك الباحثين الأفارقة في صياغة التاريخ العالمي للقارة، بما يعيد التوازن بين الرؤية من الداخل والرؤية من الخارج، وهكذا تبلورت ملامح مدرسة جديدة يمكن وصفها بالمدرسة التأريخية التكاملية، التي لا ترفض المناهج الغربية جملةً ولا تتقوقع في المحلي، بل تسعى إلى تكوين وعي نقدي يجمع بين الدقة المنهجية والانتماء الثقافي.

وفي ضوء ما تقدّم، يمكن تلخيص نتائج الدراسة فيما يلي:

1. أن الوعي التاريخي الإفريقي مرّ بمرحلتين متباينتين مرحلة التبعية والاستلاب التي اتسمت بسيطرة الخطاب الغربي، ومرحلة التحرر وإعادة البناء التي أعادت الاعتبار للذات الإفريقية بوصفها فاعلاً حضارياً لا مفعولاً به.
2. أن المدرسة الغربية قدّمت إسهامات مهمة في مجال المناهج والنقد الوثائقي، لكنها سقطت في فخ الأيديولوجيا المركزية الأوروبية التي شوّهت التجربة الإفريقية.
3. أن المدرسة الإفريقية لم تكن مجرد ردّ فعل، بل قدّمت مشروعاً علمياً له أسسه النظرية، يقوم على تعدد مصادر المعرفة التاريخية ودمج التراث الشفهي بالمناهج الحديثة.
4. أن الصدام بين المدرستين تطوّر إلى شكل من أشكال الحوار النقدي الذي أسهم في تطوير علم التاريخ الإفريقي، وفتح آفاقاً جديدة لقراءة الماضي من منظور متوازن وإنساني.
5. أن بناء وعي تأريخي إفريقي جديد يتطلب تجاوز ثنائية الشرق والغرب نحو صياغة مشروع معرفي يقوم على التكامل بين التجارب، والانفتاح على النقد الذاتي، وتحرير أدوات البحث من هيمنة الإيديولوجيا والسياسة.

إنّ إعادة بناء الوعي التأريخي الإفريقي ليست مجرد مهمة أكاديمية، بل هي ضرورة حضارية تفرضها تحديات الحاضر والمستقبل، حيث لا يمكن لأيّ نهضة تنموية أو ثقافية أن تتحقق بمعزل عن إعادة قراءة الماضي قراءة نقدية وموضوعية، فالتاريخ في سياق الوعي الإفريقي لم يعد مجرد مرآة للأحداث، بل أصبح فضاءً للصراع على المعنى والهوية، ومن ثمّ فإنّ تحقيق الاستقلال التأريخي يعني أن تمتلك إفريقيا حقّ السرد عن ذاتها وأن تُسهم في كتابة التاريخ الإنساني بصوتها الخاص بعيداً عن الوصاية المعرفية لتؤسس بذلك لمرحلة جديدة من التحرر الفكري والتكامل الحضاري بين الشعوب.

المصادر والمراجع

1. أبو القاسم سعد الله: دراسات في التاريخ الأفريقي الحديث والمعاصر، الجزائر، 2018.
2. –عبد القادر الزغيدي: العلاقات العربية الإفريقية في العصر الوسيط، مطبعة جامعة تونس، تونس، 2019 .

3- Arowosegbe, Jeremiah O.: History and the Development of Historical Scholarship in Africa, History in Africa, vol. 51, 2024.

4- Diop, Cheikh Anta: Civilisation ou Barbarie, Présence Africaine, Lawrence Hill Books, 1981.

5- Enyegue, Jean-Luc: Writing African History in a Global World: The Intercultural Paradigm, Interreligious Studies and Intercultural Theology, Vol. 5, No. 1-2, 2021.

6- Falola, Toyin: Historiography and the African Experience, 2023.

7- Falola, Toyin: Nationalism and African Historiography, Cambridge University Press, Cambridge, 2024.

8- Ki-Zerbo, Joseph: Histoire de l'Afrique Noire, Hatier, 1997.

9- Ki-Zerbo, Joseph (ed.): General History of Africa, UNESCO, Vol. I, 1997.

10- Mazrui, Ali: The Africans: A Triple Heritage, BBC Publications, 1986.

11- Nyarko, John Abbam: The Independentisation of African Historiography, Africania, Vol. 5, Issue 1, 2025.

12- Sheriff, Abdul: The History and Conservation of Zanzibar Stone Town, James Currey, London, 1995.

-13UNESCO, General History of Africa, Vol. VII, Paris, 1993